ليبيا لدى الرحالة المغاربة

الاستاذ عبد الهادي التازي

لا يمكن المرء أن يغفل عن النصيب الهام الذي تستأثر به الرحلات المغربية من تاريخ وجغرافية ليبيا . ان هناك عشرات من الرحالة المغاربة دونوا مذكراتهم عن مقامهم بتلك الديار وهي ـ ولو انها مما لم يظهر جميعه لحد الآن ـ لكن المكتبة المغربية تتوفر على طائفة منها مهمة ، الامر الذي يقدم لنا معلومات طريفة عن طبيعة البلاد واسرائها ، وقادتها وعلمائها وفقهائها ، سواء عند ذهابهم وايابهم .

فهذا الامام ابن العربي سفير يوسف بن تاشفين سنة ٤٨٥ هـ (١٠٩٢ ـ ١٠٩٣) م الى المستظهر بالله في بغداد « يعظم عليه البحر نزوله ويغرقه في هوله » فينتهي الى برقة حيث ينزل ضيفاً مكرماً ـ مع ابنه ـ على امير بني كعب بن سليم حيث يمضي وقتاً في التسلية بلعب الشطرنج في انتظار تصليح مركبه ...[1] .

وهذا ابن رشيد الذي ألمّ بطرابلس سنة ٦٨٠ هـ (١٢٨٦ ـ ١٢٨٧ م) فردد اصداء

---

(١) تعتبر رحلة ابن العربي من اهم ما يتوق الباحثون الوقوف عليها نظراً لما يتوقعونه فيها من اضافات وطرائف . ويوجد مخطوط بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم ١٠٢٠ يظهر انه ملخص لكتاب الرحلة . وقد قرأت في رحلة ابن عبد السلام الناصري الكبرى المصورة بنفس المكتبة تحت رقم ١٦٥١ ص ١٦٠ ان مفيداً لابن عبد الصادق رأى رحلة ابن العربي بتونس . المقري : نفح الطيب : طبعة عبد الحميد ١٩٤٩ م المجلد ٢ ، ص ٢٣٧ ـ ابن غلبون : التذكار نشر الزاوي طبعة تانيسة ص ٧٧ . ابن صاحب الصلاة : تاريخ المن نشر عبد الهادي التازي طبعة بيروت ١٩٦٤ م ص ٢٥٨ ـ ٢٥٩ . دعوة الحق : دجنبر ١٩٦٦ م .

البلاد وقدم لنا في رحلته الفريدة صورة صادقة لما شاهده ـ على الاقل ـ في ميدان النشاط العلمي [1] .

وهذا العبدري « الدليل الازرق » لكل الرواد الرحالة ، كان اول رحالة مسلم يصف فوس ماركوس اوريليوس الذي شيد منذ سنة ١٦٣ ب . م بطرابلس وقد قدم لنا تحقيقات عن جغرافية ليبيا وآثارها القديمة ، وعن حالتها العلمية عندما وصلها سنة ٦٨٩ هـ (١٢٩٠ ـ ١٢٩١ م) في اعقاب حصار اسطول ملك أراغون لطرابلس ... ويذكي بما كتبه عن نشاطها العلمي اقلام الادباء والمؤرخين في المغرب وفي ليبيا [2] .

وهـــذا ابن بطوطة السفير المتنقل لسلطان أبي عنان يحكي سنة ٧٢٦ هـ (١٣٢٥ ـ ١٣٢٦ م) عن طرابلس ومسلاته ومصراته وقصور سرت بل وعن اعراسه وولائمه في الجبل الاخضر [3] .

---

(١) رحلة ابن رشيد بعنوان « ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة مكة وطيبة » وتوجد منها مخطوطات في مكتبة الاسكوريال على مقربة من مدريد ... ويستعد لنشرها اليوم الدكتور مصطفى الخوجة بتونس .

ابن القاضي : جذوة الاقتباس فيمن حل من الاعلام مدينة فاس . طبعة حجرية ، ص ١٨٠ ـــ ١٨٢ الياس ابن ابراهيم : تاريخ مراكش ثالث ص ٢٥٠ . محمد الفاسي : الرحالة المغاربة وآثارهم دعوة الحق عدد نوفمبر ١٩٠٨ .

(٢) توجد عدة نسخ مخطوطة من الرحلة العبدري ، منها في المكتبة الملكية فيما اطلعت عليه نسخة رقم ١٣٠١ ونسخة رقم ٦٠٩٤ ، وقد عني بها المستشرقون وكان ممن تحدث عنها منهم شيربونو . وقد نشر بعضها الاستاذ ابن جدو (كلية الآداب الجزائرية) ، لكنها ظهرت حديثاً بتحقيق وتقديم ممتاز الاستاذ محمد الفاسي ضمن سلسلة الرحلات التي تنشرها جامعة محمد الخامس انظر منها صفحة ٨٢ . ابن القاضي : الجذوة ص ١٧٩ .

ـ سلفاتوري اوركيا ـ البيان (١٣) الأكاديمية الملكية الايطالية (فوس ماركواوريليو ...) دار الآثار بطرابلس .

CHER BONNEAU :
Notice et extraits du Voyage d'El Abdary
Journal Asiatique (Cinqieme Serie)
Tome IV; 18 45 Page 144-776

(٣) في نسخ ابن بطوطة التي ذلك تم في قصر الزعفرية ونظن انه تحريف لقصر الصعافية الذي يقع في الجبل الاخضر والذي ورد ذكره في رحلة العبدري .

Voyages d'Ibn Batoutah, Tradint Par Dar Defremery et Sanguinett Tom I Page 26

وهذا خالد البلوي الذي غدر به مركبه على ساحل ليبيا ، ثم خذلته قرقورته على مرسى طبرق سنة ٧٣٨ هـ (١٣٣٧ ـ ١٣٣٨ م) يترك لنا انطباعاته عن الظروف الصعبة التي عاشها هنا وهناك [١] .

يا ليلة جمعت بمرسى طبرق أجلى صباحُك عن نوىً وتفرق

ألفت بين مفرق وتجمع وجمعت بين مغرب ومشرق

وهذا الشيخ السراج الذي فضل ان يجعل طريقه عام ١٠٤٠ هـ (١٦٣٠ ـ ١٦٣١ م) على الصحراء الليبية فاخترقها من سردلس (SERDLES) وزار أوباري وقصر جرمة ، وأقام بقلعة مرزق حيث اجتمع بسيد القزان : جريم من ذرية السلطان محمد الفاسي ثم مر بقصر تراغن حيث اجتمع بالعلامة عمر بن تامر التراغني ثم زويلة وقصر تمسة وبلاد (الفقهاء) ثم زلة التي تعتمد على شراب « اللاقبي [٢] » ثم اوجلة ... معلومات عن القزان مما يضمه من ثروة ارضه ونبل قومه .

وهذا الامام العياشي : يسجل سنة ١٠٧٢ هـ (١٦٦١ ـ ١٦٦٢ م) ما سيظل مرجعاً لكل الذين يهمهم تاريخ هذه الديار باسلوبه الخيّر الرصين ، وملاحظاته الدقيقة الهادفة ،

---

(١) الرحلة ما تزال لم تنشر الى الآن ، وتوجد منها عدة نسخ في المكتبات العامة والخاصة بالمغرب وقد اعتمدت النسخة رقم ١٢٨٨ / د بالمكتبة العامة والنسخة رقم ٥٨٠٣ بالمكتبة الملكية ، والنسخة رقم ٧٨ ج ونسخة رقم ٨٢٦ ج والخلاف بين النسخ لا يكاد يذكر ، وقد حقق الرحلة الاستاذ الحسن السائح ولكنه لم ينشرها بعد .

(٢) اللاقبي : مشروب كان يعتز الليبيون بتناولونه للنشوة ، عصارة تقطر من جرح النخيل ، هذا والرحلة معروفة تحت عنوان : انس السامري والسارب من اقطار المغارب الى منتهى الآمال والمآرب وسير الاعاجم والاعارب ، وعلمت ان الاستاذ محمد الفاسي يعتزم نشرها . هذا وقد ترجم للسراج هذا صاحب الاعلام بتاريخ مراكش الجزء الرابع صفحة ٢٢٣ ـ ٢٢٤ ، ابن غلبون : التذكار نشر الزاوي طبعة ثانية ١٤٣ ـ ١٥٦ ـ ٢٤١ . محمد سليمان ايوب : مختصر تاريخ الفزان ص ١٠٤ ـ ١٠٥ ـ ١٠٦ محمد الفاسي : دعوة الحق ، ديسمبر ١٩٥٨

FEZZANIS OASI DI GOT :

Reab Societá Geograafica átaliana Parta prime 1937 .

وروحـــه الطيبة النافذة بالاضافة الى ما حرره من رسائل خاصة لبعض اصدقائه عن تلك الاراضي [1] .

وهذا محمد الدلائي الذي حج مع والده المرابط عام ١٠٧٩ هـ (١٦٦٨ ـ ١٦٦٩ م) يلذ له ان يتحفنا ببدايته الفصيحة في تعداد المسالك الرئيسية التي على الحاج ان يمر بها وفي صدرها طرابلس التي « جمعت المتناقضات على حسد قول الشاعر الدلائي ، إذ كانت تحفة البحر ومتعة البر » [2] .

وهـــذا الهشتوكي الذي زار ليبيا عام ١٠٩٦ هـ (١٦٨٤ ـ ١٦٨٥ م) يتحدث عن مليّته وزنزور ، ويتحدث اليه كثير من رواد العلم والمعرفـــة ويتبادل الشعر مع الذين استقبلوه في زاوية سيدي عبد السلام الاسمر .. ان المعلومات التي قدمها الهشتوكي عن مسالك الحاج تعتبر من اقدم ما انتهى الينا ... [3] .

---

(١) القصد الى رسالة العياشي القاضي ابي العباس بن سعيد السكيلدي المحفوظة بالمكتبة العامة من مخروع تحت رقم ٤٢/٥ من صفحة ٣٠٢ـ٣١٦ وقد توفي ابو العباس مغرب يوم ٢٥ ... صفر ـــ ١٠٩٤ هذا ولا تكاد تخلو خزانة لعالم كبير من رحلة الامام العياشي وهناك عـــدد منها في المكتبة الملكية والخزانة العامة . وقد عثرت على نسختين جليلتين في ليبيا احداهما في مكتبة الجنوب والثانية بخزانة اوقاف طرابلس ، وقد طبعت الرحلة على الحجر بمدينة فاس ومع ذلك فان نفادها جعلها دوما في حكم المخطوط . السلوة ٣ ، ٢٠٦ محمد الفاسي : دعوة الحق يناير ١٩٦٩ .

(٢) انظر كتاب البدور الضاوية في التعريف بالسادات اهل الزاوية الدلائية (مخطوط بالخزانة العامة رقم ٢٦١ / د الفصل الثامن في ذكر الشيخ سيدي محمد بن الشيخ محمد المرابط الدلائي ص ٤٤٨ـ٤٥٣ـ ٤٥٧ وانظر كذلك ديوانه بنفس المكتبة رقم ٣٦٤٤ د من صفحة ١٥٩ الى ٦٣ ب .

يقول في مطلع القصيدة :

زر الغوادج واقصد بالحادي ... فلقد حنت بها جميع فؤادي

الى ان يقول عن طرابلس :

نعم المدينة للحجيج وحضرة ... ذات النخيل غزيرة الامداد

من كل ما يحتاجه ذو حاجه ... جمعت ... وحقك ... جلة الاضداد

تحف البحور ومتعة البر التي ... خرجت بزهرتها عن المعتاد

(٣) المخطوط محفوظ بالخزانة العامة تحت رقم ١٩٠ / ق لكنه مبتور القسم الخاص بطرابلس هذا وقد اجتمع بالهشتوكي هذا في درعة علامة ليبيا الاستاذ عبدالله السوسي . . =

وهذا الامام القادري الذي حج عام ١١٠٠ م (١٦٨٨ ـ ١٦٨٩ م) صحبة الشيخ ابن عبدالله تعطينا رحلته معلومات جدّ طريفة عن ليبيا ، ويكشف النقاب عن حقائق تاريخية ظلت الى اليوم مجهولة وخاصة ايام ولاية شايب العين ، وبالذات عن الاحتكاك الذي كان بين هذا وبين القبطان حسين كلايجي وصهريه مصطفى صرك وابراهيم صغجكلي [1] بل ان الرحلة لتصحح بعض الزلجات في كتب التاريخ الليبي [2] .

وهذا الامير الشاب المولى المعتصم نجل السلطان المولى اسماعيل مع الاميرة ست الملك يزور ليبيا في الطريق للحج عام ١١٠١ هـ (١٦٨٩ ـ ١٦٩٠ م) صحبـــة الامام الشهير الحسن اليوسي . ويسجل هذه الرحلة نجل الشيخ فيقدم لنا معلومات قيمة عن رباط طرابلس واواخر العهد العثماني الاول وعن احياء منطقة « المنشية » والمدينة القديمة ، وعن مختلف المراحل التي سلكها الركب واحدة واحدة الى البطنان [3] .

= الناصر احمد ، الرحلة ص ٦٨ ـ ٧٠ ـ اليوسي ، المحاضرات طبعة فاس ص ٦١ ابن غلبون : التذكار ص ٢٢٣ الزاكي : الاعلام في تاريخ مراكش المجلد ٢ ص ١٠٤

(١) الرحلة بعنوان : « نسمة الآس في حجة سيدنا ابي العباس » محفوظ بالخزانة الملكية تحت رقم ٨٧٨٧ توجد نسخة منها بالمكتبة العامة في المجموع رقم ١٤١٨ / ك . وقد توفي ابو العباس هذا في ١٩ جمادى الاولى سنة ١١٣٣ . السفرة ٢ ، ٣٠٣ ـ ٣٠٤ ابن غلبون : التذكار ١٨٨ ـ ١٨٩ ـ ١٩٠

(٢) نذكر على سبيل المثال بعض المعلومات التي اعطيت حول الشيخ ابن سعيد المغربي الذي وردت الاشارة اليه في شعر الاديب الطرابلسي احمد الشاب :

(قد اختارها الزروق داراً ووطناً كذا ابن سعيد مقتد بهداتها)

والذي تذكر المصادر الليبية انه توفي سنة ١٠٩٣ مع ان الشاب حياً ثم بينه وبين ابي العباس القادري ١١٠١ عشر سنوات بعد التاريخ المفروض لوفاته ابن غلبون : التذكار نشر الزاوي ص ٢٢٠ الناشب الانصاري : نفحات النسرين والريحان ص ١٣٠ ـ ١٣١ ـ ١٣٢

(٣) المخطوط محفوظ بالمكتبة الملكية تحت رقم ٢٢٤٣ . كما توجد نسخة منه بالخزانة العامة في مجموع تحت رقم ١٤١٨ ك ولا بد مع هذا ان نراجع نسمة الآس في رحلة ابو العباس السالفة الذكر وتنظر الزيانى في مخطوطه : الروضة السليمانية في ملوك الدولة الاسماعيلية ومن تقدمها من الدول الاسلامية ص ٦٥ (ب) محفوظ بالخزانة العامة رقم ١٢٧٥ / دي ونشر الثاني حوادث عام ١١٠١ . محفوظ تحت رقم ٢٢٠٤ المجلد ٢ . الخزانة العامة . السكيتاني السلوة ٣ ، ٨١ ، ٨٢ . عبد السلام بن سودة ، دليل مؤرخ المغرب الاقصى المجلد ٢ ص ٣٤٤ . الشهب ابن زيدان : اتحاف المطيف ص ٤٥٢ .

وهذا ابو العباس الناصري الذي قام بآخر رحلاته عام ١١٢١ هـ (١٧٠٩ ـ ١٧١٠ م) يزود المكتبة المغربية بدقائق عن ليبيا سواء عند مداهمة الاسبان لمدينة طرابلس ايام ولاية الحاج عبد الله الازميرلي سنة ١٠٩٦ هـ (١٦٨٤ ـ ١٦٨٥ م) او ثورة البلاد على خليل باشا ويعرفنا على طائفة من احداث طرابلس ويقدم الينا عدداً من رجال العلم والفضل بمختلف اطراف البلاد ويكشف عن حقائق جدّ هامة [١] .

وهذه زيارة امير الامراء سيدي محمد بن السلطان المولى عبد الله بن الامبراطور المولى اسماعيل (محمد الثالث) لقد قام سنة ١١٤٣ هـ (١٧٣١ ـ ١٧٣٣ م) صحبة جدته الفقيهة العالمة لالة خناثة زوجة المولى اسماعيل ، هذه الرحلة التي سجلها الوزير الشرقي الاسحاقي والتي رددت اصداءها المصادر المغربية والاوربية نظراً لما كان لها بعد من اثر على العلاقات الدولية [٢] .

---

(١) لقد رحل أبو العباس اربع مرات وتقع رحلته هـذه في مجلدين ، وهي مطبوعة بفاس سنة ١٣٢٠ ... اما نسخها المخطوطة فتوجد بمختلف الاشكال بالمكتبة الملكية ، والخزانة العامة ... هذا وقد كان استطراد الناصري بتسجيل مذكراته ١٠٩٦ فرصة لاعطائنا فكرة جد حية عن شاهد عيان عن احداث هذه الايام ، ارجع للناصري ص ٦٤ـ٦٦ـ٦٧ ابن سودة : دليل تاريخ المغرب المجلد ٢ ٣٤٤ـ٣٤٥ . ابن غلبون : التذكار ١٨٦ ص ٢٠٤ .

(٢) الرحلة تقع في مجلدين ، يوجد الاول بالخزانة الكبرى لجامعين القرويين من اوقاف السلطان المولى عبدالله على المكتبة المذكورة سنة ١١٥٦ وهو تحمل رقم ٢٠٨ / ٨٠ وتوجد نسخة اخرى في مكتبة الشيخ ابن زيدان تحت رقم ١٤٢٨ ، تصير الى المكتبة الملكية . ولا اعتقد نسخة الشيخ الا منقولة عن نسخة القرويين .

ابن غلبون : التذكار ، نشر الزاوي طبعة ثانية ص ٢٦٢

ريتشارد تولي : عشر سنوات في بلاد طرابلس نقله الى العربية عمر الديراوي ابو حجلة ، مكتبة الفرجاني طرابلس ص ١٦٧ .

رود لفوميكاكي : طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي نقله الى العربية طه فوزي (منشورات معهد الدراسات العربية العالمية) ص ١٠٧

Ambassador Abdelhodi Tazi : Moroccan American Relations
26 - 1 - 67 p . 22

وهذا ابو مدين الدرعي الذي حج عام ١١٥٢ هـ (١٧٤٠ ـ ١٧٤١ م) يترك لنا وصفاً حياً لمدينة طرابلس بما فيها حي الزراريه : الاســـم الذى يعطيه الحجاج لحيّ الظهرة ويتحدث عن الحالة الاجتماعيـــة للبلاد ويقـدم لنا بعض الشخصيات العلمية ثم يأتي على ذكر المراحل من الحدود الغربية الى الشرقيه [١] .

ومن الطريف اننا قد نتوفر في سنة واحدة على رحلتين اثنتين لمؤلفين اثنين . وهكذا نلمس اثر المنافسة في تسجيل الخواطر وصياغتها بالاسلوب الشيق الساحر .

وهذا الشيخ الحضيكي الذي زار ليبيا ايضاً عام ١١٥٢ هـ (١٧٤٠ ـ ١٧٤١ م) فحكى عن حدودها الغربية وعن مدنها العتيقة بما فيها تاجوراء وطرابلس ومصراته واجدابية[٢] وهذا المنالي الزيادي يزور ليبيا عام ١١٥٨ هـ (١٧٤٦ ـ ١٧٤٧ م) فيستوعب الحديث عن منطقة الظهرة والزراريه بطرابلس ... ويقدم الينا فوائد هامة تتعلق بالمخطوطات التي عثر عليها اثناء مروره بليبيا عند العلماء الذي اجتمع بهم عندما به سنة ١١٥٩ هـ (١٧٤٧)[٣] وهذا الاستاذ التازي ينظم حوالى سنة ١١٦٢ هـ (١٧٤٩ ـ ١٧٥٠ م) مسالك ليبيا

ـــ ابن عثمان : الاكسير في فكاك الاسير تحقيق وتعليق الاستاذ محمد الفاسي ، نشر المركز الجامعي للبحث العلمي بفاس

(١) الرحلة توجد محفوظة بالخزانة العامة تحت رقم ٢٩٧ ، وانظر الى جانب هذا رحلة المنالي التي تمت عام ١١٥٨ وهي محفوظة بالخزانة العامة رقم ٣٩٨ / ك ، وتوجـــد نسخة في ملك الاستاذ المحقق السيد العابد الفاسي محافظ الخزانة الكبرى لجامعة القرويين من مدينة فاس .

(٢) ولد الشيخ الحضيكي سنة ١١١٨ وتوفي ١١٨٩ بالسوس الاقصى ، ورحل في طلب العلم وكاتب من لم يلقه في الشرق والغرب بحيث يستغرب ذلك من طالع مجاميعه وفهارسه وفهـارس اصحابه . والمخطوط محفوظ في المكتبة الملكية تحت رقم ٤٠٥ . فهرس الفارس ص ٢٦٠ـ٢٦١ـ٢٦٢

(٣) توجد عدة نسخ من الرحلة المذكورة بالمغرب الاقصى ، ولكن من احسنها التي توجد في ملك العلامة الثبت السيد محمد العابد الفاسي محافظ الخزانة الكبرى لجامعين القرويين بفاس . هذا وقد حج معه الفقيه مولاي احمد الصقلي دفين حومة البليدة والقطب سيدي عبدالوهـاب التازي دفين القبب خارج بلاد الفتوح .

السلوة ٢ ، ١٣٤ ـ ١٨١ ـ ١٨٥ ـ ١٨٦ ... ابن هاشم الكتاني : زهرة الآس في بيوتات فاس محفوظ بالخزانة العامة رقم ١٢٨١ ك .

في همزية طريفة تبلغ ثلاثمائة وخمسة وثلاثين بيتاً يأتي فيها بمعلومات عن مواقع أصبحت الآن مهددة بالنسيان ، فيها غافق والرحيحيف والمروال [1] .

وهذا الشيخ ابن عبد السلام الناصري في رحلته الاولى عام ١١٩٦ هـ (١٧٨٢-١٧٨٣) يعطي صورة كاملة عن ليبيا بكتابها وادبائها ، وعلمائها ومعالمها ، ويتحدث عن المخطوطات التي وقف عليها ، وقد كان المغربي الاول الذي قدم لنا قصيدة ابن عبد الله الدائم ، وكتاب التذكار لابن غلبون في حقيقتهما [2] .

ثم هذا الناصري بنفسه يقوم برحلة ثانية عام ١٢١١ هـ (١٧٩٧ - ١٧٩٨ م) ويلذ له ان يقارن ويفارق بين الحالة الداخلية في ليبيا ايام علي القرمانلي وبين ايام ابنه يوسف ويتحدث عن الجفوة بين بني سيف النصر وبين امير طرابلس ... وبين رحلته الاولى حاجّاً عادياً وبين رحلته هذه وهو مكلف من قبل سلطان المغرب المولى سليمان بمرافقة الامير مولاي احمد نجل السلطان وعمه مولاي موسى شقيق المولى سليمان [3] .

---

(١) القصيدة توجد ضمن مجموع محفوظ بالخزانة العامة تحت رقم ٣٤٩٠ دق وقد نشرها الاستاذ البحاثة السيد محمد المتوفى سنة ١٩٥٣ في كتابه «ركب الحاج المغربي» مطبعة الخزن تطوان ص٨٩-١٠٤ اما صاحب المنظومة فقد ذكره ابو الربيع سليمان الحوات في كتابه البر الطاهر بالقائه العلامة الاديب ابي عبدالله محمد بن الحاج النمساني ثم التازي المتوفى بالمشرق في حدود السبعين ومائة الف ، كما حلاه الشيخ الناودي بالاستاذ الفقيه النحوي وذكر انه كانت له معرفة به لما بينهما من القراءة على الشيخ الوجاري وانه ارتحل بعد ذلك من فاس لتقلد منصب هناك . .

(٢) توجد نسخه محفوظة بالمكتبة بالخط المؤلف تحت رقم ٥٦٥٨ كما توجد نسخة مصورة بالخزانة العامة تحت رقم ٢٦٥١ وكلاهما ذو خط مغربي جميل ، وقد لخص الرحلة هذه العباس بن ابراهيم في كتابه الاعلام المجلد الخامس ص ١٨٩ . الشاب الانصاري : المنهل العذب : الاول ٢٢٩ ترجمة مصطفى الخوجة . الزاوي : اعلام ليبيا ص٣١٣ محمد الفاسي : الرحلة المغاربية وآثارها ، دعوة الحق . يناير ١٩٥٩

(٣) توجد عدة نسخ لهذه الرحلة ، وقد اعتمدت محفوظة في ملك الاستاذ البحاثة السيد عبدالسلام بن سودة استنسخها من نسخة بخط المؤلف بخزانة الاستاذ الصديق الفاسي . انظر صفحة ٤٦ حيث يقول الناصري: وصلني والنا بتازة كتاب الامير نصره الله يعيني كيفية توزيع الصدقات وهناك نسخة محفوظة بالخزانة الملكية رقم ١٢١ .

وكما حصل عام ١١٥٢ هـ (١٧٤٠ ـ ١٧٤١) عند ما كسبنا رحلتين اثنتين ، فكذلك زار ليبيا ايضاً سنة ١٢١١ (١٧٩٧ ـ ١٧٩٨ م) الشيخ الفامي الذي كان ضمن اعضاء الركب فأتى بالطريق عن البلاد مما يعتبر فريداً في بابه ، وقد قدم وصفاً ناطقاً عن احداث علي بن غدل الذي استغل خلاف علي مع ولده يوسف فاستولى على طرابلس ... كما تحدث عن المصاهرة التي كانت بين آل سيف النصر والعاهل المغربي ، واذا كان الناصري سنة ١١٢١ هـ (١٧٠٩ ـ ١٧١٠ م) والدرعي سنة ١١٥٢ هـ (١٧٤٠ ـ ١٧٤١ م) قد ضلّ عنهما اسم البازين بعد أن تناولاه في ساحل حامد فان هذا الفامي لم يفته ان يصف لنا منظر ازيد من اربعين قصعة من البازين مرتبة احداها الى جانب الاخرى [1] .

وهذا الغيغائي الذي حجّ عام ١٢٧٤ هـ (١٨٥٨ ـ ١٨٥٩ م) لم يفته ان يسجل ـ ولو أن سفره كان بحراً ـ تردد الليبيين على جزيرة مالطة وخاصة منهم سكان طرابلس [2] وهـذا الاستاذ السبعي الذي رحل عام ١٣١٠ هـ (١٨٩٣ ـ ١٨٩٤ م) يعطينا معلومات

(١) اعتمدت على نسخة بخط المؤلف في ملك الاستاذ الثبت السيد محمد العابد الفاسي محافظ الخزانة الكبرى بجامعة القرويين ... هذا ويعتبر البازين اكلة رومانية تحتاج الى اتقان ومهارة وقد نقل ليون الافريقي ـ الحسن بن محمد الوزان ـ ان البازين كان الغذاء الاساسي لطرابلس ، وفي معجم دوزي ان كلمة البازين اصلها زرزين ... ولا يوجد احد من طلبة مقامه في ليبيا لا يعرف عن هذه الاكلة المحببة التي لا بد لتذوق ملاذها ان يعرف المرء طريق تناولها حتى يتخلل الرق ذرات عيشه ...

وقد قال فيه الشيخ ابراهيم الاكبر :

خير الموائد عشبة البازين	والقمح حوله ناضج وسمين
فتقطع بكفيك قبضة من اصله	ثم ادلكنها جيداً فتاين
حتى اذا ما الشيء صرفة فشكل	بالخس من بلساك فهي تعين

الناصر احمد : رحلة ص ٨١ دوزي ـ المجلد ١ ص ٨٢ ، ٢٧٩ ـ ابن غلبون ـ مقدمة الزاوي ص (ز) علي المصراتي : لمحات ادبية عن ليبيا . ص ١٢٥ ـ ١٢٦ .

(٢) هي رحلة رائعة توجد في الخزانة العامة مصورة على شريط رقم ١٢ . وقد تضمنت معلومات كانت بالنسبة لزمن المؤلف احداثاً هامة . ولكي يعطي الرحالة الاداب صورة ناطقة للقراء عن مشاهداته عمد الى تصوير الاصدقة الفرنسية . والقطار الحديدي كما رآها ببعض المرفية .

جدّ مفيدة عن الحركة العلمية في زاوية الجغبوب وعن بعض مؤلفات الامام السنوسي ثم عن الدور الذي كان يضطلع به القائدان العظيمان السيدان : المهدي ومحمد بعد وفاة والدهما الامام الاكبر سيدي محمد بن علي السنوسي [1] .

ولم يقتصر المغاربة على تسجيل انطباعاتهم عن ليبيا بالنثر والشعر الفصيحين ولكنهم عدوا ذلك الى التعبير عن مشاعرهم للشعر الذي يعرف باسم « الملحون » في المغرب الاقصى وقد نظر الحاج ادريس بن علي الحنش . والحاج محمد بن علي السفيوي قصائد بالملحون ضمناها بعض مسالك ليبيا الى البقاع المقدسة [2]

عبد الرباري الغازي

---

(١) الرحلة مخطوطة محفوظة بالمكتبة العامة تحت رقم ٢٩٠٨ / ٤ وقد استطرد مؤلفها الفقيه الجليل احمد بن محمد السبعي بحديث طريف عن الزاوية السنوسية بالينبع التي تبعت اولى زواياه باولاد نايل بالقطر الجزائري بين عين ماضي وعبد الجيد وتبعت كذلك زاوية قبيس ، وكان مما انشده تعليقا على كتاب البدور السافرة عندما قدمه اليه الفقيه سيدي محمد بن علي الغاري قال :

جزى الله خيراً من حيانا بعلم ذا ... ولقاه ما يرجو بجنة خلده
سليل سنوسي المجد يارب زوننا ... بما له من بحر حلا وبجده

(٢) من ذلك قول الحنش :

من قابس توصل طرابلس المشيره ... ادخل بلاد مسراته وانت ساري
زر البرنوسي تهنون كل عسيره ... شيخ الشيوخ سيدي زروق الغاري
من قالوا ناس لوفا ، غلبه رويثا ... تاكلوا مشاو بجبول البلدان
مثل التقسير الكبير بالبيثا ... نصيحة ، شرح الحكم الشاني

* * *

من مسراتا يا حمام لاتزهزا ... اجعل راهنك توصك في بنغازي
من بنغازي زد لا تشاهد عزا ... وانزل بجبل الاخضر على مرزاي (كذا)
واقطع المروان في حاذا العزا ... الى بوصلك لمنازل الحجازي
بعد كابس في مساير تشوف بفلاس ... من سواحل جربه حتى طرابلس
بلت واقصد طريق ولا ترافق كفول ... نصب بن غازي طرف اليم على القلا
كن في برقة حاضي لتصيدوك دهول ... في مهاميد درنة ما لقي دهيلا

(٢) من تجوع في مثل الاستاذ البحاثة السيد محمد بن عبدالهادي المنوني .